نصوص في وضح الرصاص

. خالد السعيد .

(١)

متى تقعُ الحربُ يا أبي؟
. عندما تلدُ البندقيّة أُولى رصاصاتِها المستحيلة.
. ومتى تنتهي الحربُ يا أبي؟
. الحربُ لا تنتهي يا ولدي.
لكنّ، قد يَعْطف عليكَ العالَمُ المتمدّن
ويهديك هدنةً قد تقيك شرَّ قذيفةٍ
تختبر الهويّة.
. وما هي الهويّةُ يا أبي؟
. قلبُ أمك المثقوب
وجدّتك المريضة.
. هل نحن في حربٍ يا أبي؟
. لا يا ولدي.. هكذا يقولون في الجرائد
لكنّهم يتوقّعون حربًا إذا ما الضحيّةُ
رَفعتْ في وجه قاتلها البندقيّةَ.
. وكيف ستعيشُ الضحيّةُ بلا حربٍ يا أبي؟
. ستعيش يا ولدي في كتبهم، وسيقولون عنها:
«مهذّبةً هذه الضحيّة،
عانقتْ رصاصتَها بكلِّ سلامٍ ونامت.»
وكانت الحربُ قد وقعت مثلَ حبٍّ من طرفٍ واحد،
لكنّ الرواة ما زالوا يُوهمون الحطبَ الرطبَ أنه قابلٌ للاشتعال.

(٢)

في آخر الليلِ،
يرتاح الخصمُ ويجلس قربَ خصمه،
ناسيِيْن دقّ الحديد والطبول،
ويتحدّثان مثلَ زوجين مختلفين.
لكنّ، لحكمةٍ ما،

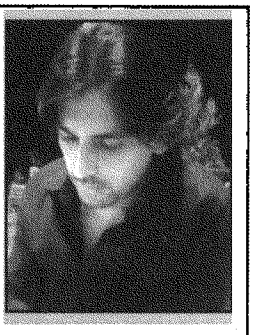

خالد السعيد
ولد عام ١٩٨٦. من مدينة درعا. تخرّج من قسم الإعلام بجامعة دمشق. صدر له: **بين بين** (نصّ).

وُجدتْ غرفةُ نومٍ واحدة
وسريرٌ واحد
يجمع الخصمين ليفكّرا
بالفرق المجازيِّ بين خيل المتنبّي
وباقي الخيول.
ولا يعترفان، واحدُهما للآخر،
بحسن الجوار.
ولا يدافعان عن لغةٍ أصابت
شاعرًا بمسٍّ في الرقص.
كلاهما يَشْتم الطريقَ
حين يفيق على اختلاف المسافة
يقصر حسب مزاجِهما أو يطول
ولا يتشاجران؛ مثل الصبيّة
بعد لعبة الغمّيضة:
أنا ربحتُ
لا بل أنا ربحت.
كلاهما خاسر؛
فهما لم ينتبها إلى الشمسِ ساعةَ الغروب،
ولا إلى رائحةِ الياسمين حين تفوحُ أوّل الليل.
كلاهما خاسر في كلِّ شيء:
في الحرب، والحبِّ،
وفي القصيدةِ التي أهملتْ وصفَ الانتصار
أو الهزيمة
وأطالت في شرحِ طقوس السلام
في آخر الليلِ
وجواز التحيّة.

(٣)

الحرب
ولا وصفَ لها أكثر!
يسألني صبيٌّ صغيرٌ من العائلة:
ـ ما الحربُ؟
فأُطيل التأمّلَ بلعبته
وأسألهُ:
ـ ما الحبُّ؟
يشدّ على لعبته
ويحمرّ خدُّه.
ويسألني:
ـ ما الحربُ؟

لم أجدْ شاعرًا واحدًا ليسعفني بالإجابة
ولا قائدًا باقيًا
بعد أن أعطى أمرًا لجنديٍّ على دبّابة.
وأشرتُ للتاريخ بطرفِ أصابعي،
فانتبه قنّاصٌ على سطحٍ مجاور.
أرخيتها لأناورَ القنّاص،
وأؤجّلَ اجتهادَ الرصاصة،
وأحرمَها من فتوى الإجابة.
الحرب، ولا وصف لها أكثر،
ارتخاءٌ في المفاصل
وخللٌ يُصيب الجهازَ التنفسيّ.
لكنها ـ إنْ أمعنتَ النظر ـ
وصفٌ على لسان الله
لا تُبقي ولا تذر.

(٤)

لم أفهم الصورة
هناك يدٌ تحت الجسدِ الناعمِ تحضنه
وفي اليد خاتمٌ.
من حسن حظِّ الضحيّة
أنّ الذهبَ معدنٌ يلمع
لينتبهَ المنقذون أنّ الترابَ
ابتلع اليدَ:
اليدَ التي حضنتْ يومَها
خصرَ الجسدِ الناعم.
...
لم أفهم الصورة!
سألت:
مَن يُخبِّئ مَن،
ومِنْ مَن؟
سيجتمع حماةُ الحقائق،
والمدافعون عن حقوق الإنسان،
وأصحابُ المهارة في تحليلِ الصورة،
ويختلفون في جنسِ الجسد الناعم/
هل هو ذكرٌ أم أنثى؟
وربما ينسوْن قصّةَ اليد والخاتم!

سأثبت أنني حيٌّ الآن،
وأنفي بالشهيق شكَّ ديكارت،

وأكتبُ جملةً على حائط الفيسبوك،
هذه الجملة:
«لم أفهم الصورة
هناك جسدٌ ناعمٌ
ويدٌ تحضنه
وفي اليد خاتمٌ.»

(٥)
شيءٌ ما يبدو كما الخراب:
يدٌ في جيبي،
والأخرى أُحرّكها لأبعدَ بها
جناحَ الغراب.
. هل تذكر «آريز» يا ولدي؟
لا يا أبي
لم أكنْ حاضرًا وقتها،
لكنّي سمعتُ عن الشمس
لما أطلّت على أفروديت
وهي تُحنّي أصابعَها بالدم.
ونيرون يا ولدي؟
أتذكّرُ خشبةَ السيرك
وهوسَ القاتلِ بالمسرح،
لكني لم أحفظْ ما كان يتمتمه
عن هوميروس والحصانِ الذي يسرح.
معنا على السكايب خالد أبو صلاح
خالد، ما الجديد في كرم الزيتون؟
شيءٌ ما يبدو كما الخراب
هذه ليست غزّة
ولا سراييفو

(عذرًا لرداءة الصوت من المصدر).
لم يفهمه أحدٌ
وكان الكلامُ سرابًا.
...
يرتاح الحيُّ بصمتٍ
وأدور أنا لأطمئنَّ على الموتى.
لكنْ، دون أن أدقَّ البابَ،
تموت الأبوابُ أيضًا
بعد حفلات القصفِ.
والجدرانُ تحني ظهرَها
وتعود للخلق الأوّلِ:
ترابًا
ترابًا.
...
أحنُّ إلى الضجيج،
إلى أولادِ حارتنا
حين يطوفون في الحيِّ مثل الحجيج،
إلى جارتنا وبائعِ المازوت.
أحنُّ إلى عبث الذبابِ،
إلى الطريق نحو الذهابِ.
...
شيءٌ ما يبدو كما الخراب:
يدٌ ترفعُ جثةً،
ويدٌ تنادي على السماء:
هلاّ تعودان قليلاً فقط
قليلاً فقط
من الغياب؟